سورة مريم

دراسة تفسيرية بيانية

من قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ إلى آخر

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾

د / الصـــافي صلاح الصـــافي

كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

جامعة الأزهر – جمهورية مصر العربية

الصـــافي صلاح الصـــافي.
قسم القراءات وعلومها، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:Safysalah٤٤٤٤@yahoo.com

الملخص

يتعلق هذا البحث بدراسة آيات من سورة مريم دراسة تفسيرية بيانية ، من قول الله تعالى : (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً) إلى آخر قوله عز وجل : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون)، وقد جاء في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، تضمنت المقدمة منهج البحث وخطته، وتحدث التمهيد عن سورة مريم من حيث اسمها، وعدد آيها، ومكيتها أو مدنيتها، وأهدافها ومقاصدها، ومناسبتها لما قبلها، وأما المباحث ففيها دراسة ما تضمنته الآيات محل البحث من وجوه تفسيرية وبيانية تؤكد على إعجاز القرآن الكريم وتقطع بكونه مكمن الفصاحة والبلاغة، وتبين دقة اختيار الألفاظ القرآنية وتنوع دلالاتها، وتوجه اختلاف القراءات القرآنية، وتقرر اختلاف الوجوه التفســـيرية بتعدد المعاني اللغوية لألفاظ القرآن الكريم، وتضمنت الخاتمة أهم النتائج المستخلصة من البحث.

الكلمات المفتاحية:سورةمريم، المكي، المدني، دراسة، تفسير.

Al Safy Salah Al Safy.
Department of readings and science, Faculty of the Holy Quran in Tanta, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Safysalah٤٤٤٤@yahoo.com

Abstract

This research is related to the study of verses from Surat Maryam graphical explanatory study, from the words of Allah: (**Thereupon she carried him, and retired to a far off place.**) to the last saying Almighty: (For We shall inherit the earth and all that are on it. To Us, they shall return.). It has come in the introduction and the preamble and four topics and conclusion, included Introduction The research method and plan, and talked about the introduction of Surat Maryam in terms of its name, number of the verses, and its Makkah's or Madinah, and its goals and purposes, and the occasion of the previous, and the detective study the contents of the verses in question of the explanatory and graphic aspects emphasize the miracle of the Koran and cut off as a place of eloquence and rhetoric, and shows the accuracy of the selection of the Koranic words and variety of their implications , and directed to different readings of the Koran, and decided interpretive faces differences with multiple linguistic meanings of Koran words, and included the conclusion of the most important findings from the research..

keywords: Surat Maryam, Makkah's, Madinah,, Study Tafsir (interpretation).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي نوّر بكتابه القلوب ، وأنزله في أوجز لفظ وأعذب أسلوب ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من بعثه الله رحمة للعالمين ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، سيدنا محمد النبي الأمي الذي علمه ربه ما لم يكن يعلم ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فقد سبق أن كلفت من قبل أساتذتي الكرام في اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في التفسير وعلوم القرآن بكتابة بحث مرجعى في البلاغة القرآنية في ربع ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ من سورة مريم للحصول على درجة " أستاذ مساعد " فى القراءات ، ولكن شاء الله تعالى أن يتم إلغاء البحث المرجعى قبل تقدمى للحصول على الدرجة ، فتمت مناقشتى فى البحوث الأخرى التى تقدمت بها إلى اللجنة الموقرة ، ورغبة منى فى المساهمة فى مجال التفسير والبيان القرآنى فقد استعنت بالله تعالى فى دراسة ما تضمنته بعض آيات الربع المذكور من وجوه تفسيرية وبيانية ، من قول الله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [الآية : ٢٢] ، إلى آخر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [الآية : ٤٠]

وقد جمعت في هذا البحث بين المنهجين الاستنباطي والتحليلى (١) ، إذ طالعت ما

---

(١) المنهج الاستنباطى : هو ما يقوم على التأمل فى أمور جزئية لاستنتاج أحكام منها ، والمنهج التحليلي يقوم على ثلاثة أسس : وهي التفسير والنقد والاستنباط . ينظر : البحث العلمي حقيقته ومصادره ومناهجه للدكتور/ عبد العزيز بن علي الربيعة ١ / ١٧٨ ، وأبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور / فريد الأنصاري ص ٦٦ وما بعدها .

تيسر من كتب التفسيروالبلاغة وغيرها ، وأفدت منها جميعاً في استنباط الوجوه التفسيرية والبيانية وتحليلها في الآيات المذكورة مما يساعد على توضيح المعنى القرآنى وتجليته للقارىء.

وتتلخص الخطوات التي سرت عليها في هذا البحث فيما يلى :

- قسمت الآيات الكريمات إلى عدة مباحث .
- التزمت الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية .
- ذكرت مناسبة الآيات لما قبلها فى بداية كل مبحث.
- بينت الوجوه التفسيرية والبيانية فى الآيات قدر المستطاع .
- عرفت بالمصطلحات المستعملة في الآيات محل البحث .
- وثقت الآراء والأقوال والقواعد من المصادر الأصيلة .

وقد اقتضت طبيعة بحث هذا الموضوع أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة .

أما المقدمة : فقد ضمنتها منهج البحث وخطته .

وأما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن سورة مريم من حيث اسمها ، وعدد آيها ، ومكيتها أو مدنيتها ، وأهدافها ومقاصدها ، ومناسبتها لما قبلها .

وأما المباحث فقد قمت فيها بدراسة ما تضمنته الآيات محل البحث من وجوه تفسيرية وبيانية ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : [الآيات : ٢٢ – ٢٦] دراسة تفسيرية بيانية .

المبحث الثاني : [الآيات : ٢٧ – ٣٣] دراسة تفسيرية بيانية .

المبحث الثالث : [الآيات : ٣٤ – ٣٦] دراسة تفسيرية بيانية .

المبحث الرابع : [الآيات : ٣٧ – ٤٠] دراسة تفسيرية بيانية .

وأما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم النتائج المستخلصة من الدراسة ، ثم ذيلت البحث بالفهارس العلمية .

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل وأن يعفو عن زلاتى فيه ، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه الكريم .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد

بين يدى سورة مريم

أولاً : اسم السورة :

لهذه السورة الكريمة اسمان : سورة مريم ؛ لاشتمالها على قصتها مفصلة ، وسورة كهيعص ؛ لافتتاحها بها (١) .

ثانياً : عدد آيها :

اختلف علماء العدد في عد آى هذه السورة، فهي تسعون وتسع عند المدني الأخير والمكي ، وثمان عند الباقين ، واختلافهم في ثلاثة مواضع ، الأول : ﴿كهيعص﴾ (٢) عده الكوفي وتركه الباقون، الثاني: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٣) عده المدني الأخير والمكي وتركه الباقون ، الثالث : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (٤) عده غير الكوفي (٥) .

ثالثاً : مكية السورة أو مدنيتها :

سورة مريم مكية إجماعا (٦) ، أجمع على ذلك المفسرون (٧).

---

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١ / ٣٠٥ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وينظر أيضاً : جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ١ / ١٩٩ ، ط. مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

(٢) آية : ١ .

(٣) آية : ٤١ .

(٤) آية : ٧٥ .

(٥) حسن المدد في فن العدد للجعبري : ٨٧ ، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز للمخللاتي : ٢٢٩ ، ط. مطابع الرشيد ــ المدينة المنورة .

(٦) بصائر ذوى التمييز ١ / ٣٠٥.

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧٢/٦ ط . دار الحديث القاهرة ، وتفسير القرآن العظيم

وفي الإتقان [١] استثنى منها آية السجدة، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [٢]، وقد حكى الألوسي ذلك في تفسيره فقال: وهي مكية كما روى عن عائشة وابن عباس وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ، وقال مقاتل : هي كذلك إلا آية السجدة فإنها مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة ، وفي الإتقان استثناء قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [٣] ، لكن لا دليل يدعم قول من قال بمدنية بعض آيات هذه السورة الكريمة ، ومن ثم فإن القول بمكيتها على الإطلاق هو الصحيح ، والله أعلم .

رابعاً : أهداف السورة ومقاصدها :

لهذه السورة الكريمة ثلاثة مقاصد أساسية تدور على محور التوحيد ، وهى : إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وتنزيهه عن الولد ، وإثبات البعث ، هذه هى المقاصد الأساسية التى تعالجها السورة الكريمة كالشأن في السور المكية غالباً .

والقصص هو مادة هذه السورة ، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى ، فقصة مريم ومولد عيسى ، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه ، ثم تعقبها إشارات إلى النبيين : إسحاق ويعقوب ، وموسى وهارون ، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح ، ويهدف هذا القصص إلى إثبات الوحدانية والبعث ونفي الولد والشريك وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين .

ثم تعرض السورة الكريمة لوصف الجنة وأهلها ، وحكاية إنكار المشركين البعث ، وإنذارهم بأن الأصنام التى اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها آلهة من دون الله ، ووعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالنصر على أعدائه ، وتحكى ضرباً من كلام الكفار

= لابن كثير ٢٢١/٥ ط . دار طيبة للنشر والتوزيع ، وغيرهما .

(١) ٤٢/١ .

(٢) آية : ٧١ .

(٣) روح المعاني للألوسى ٥٧/١٦ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

بنسبة الولد إلى الله عز وجل ، وتختم بالتنويه بالقرآن وأنه بشير لأوليائه ونذير بهلاك معانديه كما هلكت قرون قبلهم (١) .

خامساً : مناسبة السورة لما قبلها :

ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصاً عجباً كقصة أهل الكهف ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة ذي القرنين ، كذلك تضمنت هذه السورة قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر ، وولادة عيسى من غير أب ، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك (٢) .

قال البقاعي : " ولما كان مقصود التي قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لا عوج فيه ... إلى غير ذلك مما خلله به من بدائع الحكم وغرائب المعاني ، فاضحة لمن ادعى لله سبحانه وتعالى ولداً ، وختمها بمثل ذلك ، وصف الكتاب والتوحيد والعمل الصالح ، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص ، تحقيقاً لآية : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (٣) بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور ، وجزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم المخالفة لما مضى تأييداً لأن كلماته لا تنفد ، وعجائبه لا تعد ولا تحد " (٤) .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور١٦/٥٨ ، ٥٩ ط. دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس

(٢) البحر المحيط ٦ / ١٦٣ .

(٣) سورة الكهف ، آية : ٩ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٢ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، بتصرف ، ط. دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

المبحث الأول

الآيات [٢٢ - ٢٦] دراسة تفسيرية بيانية

قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ .

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها :

لما ذكر الله عز وجل فيما سبق ما كان من أمر مريم ــ عليها السلام ــ إذ تمثل لها روح القدس جبريل بشراً سوياً واخترق عليها حجابها ، وقالت له : إني أعوذ بالرحمن منك ، وألتجئ إليه أن يقيني شرك ، وأخبرها بأنه رسول ربها جاءها ليهبها غلاماً زكياً طاهراً ، وكان ذلك من أعظم الخوارق ، وتعجبت – عليها السلام – كيف يكون هذا الولد ، وأخبرها الروح الأمين أن هذا الأمر هين على الله وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس ورحمة لبني إسرائيل وللبشر جميعاً ، وأن ذلك كان أمراً مقضياً ومقدراً من الله ، عقب بذكر الحمل وما كان بعده فقال : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (١).

ثانياً : الدراسة التفسيرية البيانية :

* قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم ٢٢] .

ذكر المفسرون أن مريم لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال استسلمت لقضاء الله ، فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت بالولد بإذن الله تعالى ، فلما حملت ضاقت به

(١) ينظر : نظم الدرر ٥٢٨/٤ .

ذرعاً ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أنهم لا يصدقونها فيما تخبرهم به، فاعتزلت إلى مكان بعيد عنهم حياءً منهم وبعداً عن اتهامها بالريبة وتعييرها بالولادة من غير زوج (١)

وقد دلت فاءات التعقيب في قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ ﴾ ، ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ ، ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ على أن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل (٢) ، ويؤيده ما روى عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال (٣) ، قال القرطبي : " وهذا هو الظاهر ؛ لأن الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل " (٤) ، وكذلك ذكر كل أمر من الأمور اللاحقة عقيب الآخر .

وتقديم (٥) الضمير العائد على سيدنا عيسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿ فَانْتَبَذَتْ بِهِ ﴾ لإظهار الاهتمام به وبقصته ، فقد ساهم تقديم الجار والمجرور، وهو قوله ﴿ بِهِ ﴾ هنا في تركيز الأنظار نحو عيسى عليه السلام لكونه معجزة دالة على قدرة الله سبحانه (٦) .

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢١/٥ ، والتفسير المنير لوهبة الزحيلى ٧٦/١٦ ، ٧٧ ط. دار الفكر المعاصر – دمشق .

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ١٣ / ٣٨ ، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ١٨ / ١٧٠ ، ط. مؤسسة الرسالة ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١ / ٩٧ ، ٩٨ ، ط. دار الحديث ــ القاهرة .

(٤) السابق نفسه .

(٥) التقديم : من قدّم الشيء أى وضعه أمام غيره ، والتأخير نقيض ذلك ، والتقديم والتأخير : أحد أساليب البلاغة وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق . ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة للدكتورة / إنعام فوّال عكّاوي ٤١١، ٤١٢ ، ط. دار الكتب العلمية . بيروت .

(٦) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم لمعين رفيق أحمد صالح ١٥٧ ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس – فلسطين .

* قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ [مريم ٢٣] .

ذكر المفسرون أن معنى الآية : فاضطرها وألجأها وجع الولادة وألم الطلق إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة ، وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف ، فتمنت الموت قبل ذلك الحال استحياءً من الناس وخوفاً أن يظن بها السوء فى دينها ، أو أن تكون شيئا متروكاً لا يبالى به ولا يعتد به أحد من الناس ، أو لم تخلق ولم تك شيئا (١).

وكنّى (٢) بالفعل "أجاء" في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ عن صفة الإلجاء والاضطرار (٣)، والإجاءة إفعال من جاء، يقال: أجاءه وجاء به بمعنى، وفي الصحاح (٤) : أجأته إلى كذا بمعنى ألجأته واضطررته إليه " .

وتعريف ﴿ النَّخْلَةِ ﴾ (٥) إما للجنس ، فالمراد واحدة من النخل لا على التعيين ، أو للعهد ، فالمراد نخلة معينة ، ويكفي لتعيينها تعيينها في نفسها ، وإن لم يعلمها المخاطب بالقرآن عليه الصلاة والسلام ، كما إذا قلت : أكل السلطان ما أتى به الطباخ ، أي طباخه ، فإنه المعهود ، وقد يقال : إنها معينة له بأن يكون الله تعالى أراها له عليه الصلاة

---

(١) ينظر : لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن ٢٢٤/٤ ط . دار الفكر – بيروت ، والتفسير المنير ٧٥/١٦ .

(٢) الكناية : هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك . مفتاح العلوم للسكاكي ٤٠٢ ، ط. دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، وينظر: البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين ١٢٤ ، ط. مكتبة الآداب .

(٣) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ١٤ / ٤١ ، ط. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت.

(٤) ١ / ٤٤ (ج ى أ) .

(٥) التعريف بالألف واللام ؛ يكون لإشارة معهود بينك وبين مخاطبك ، أو يراد به نفس الحقيقة. المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ٣٨٦.

والسلام ليلة المعراج (١) .

وأيضاً فإن إلجاءها إلى النخلة دون غيرها من الأشجار على كثرتها إنما هو لمناسبة حال النخلة لها ، لأنها لا تحمل إلا باللقاح من ذكور النخل ، فحملها بمجرد هزها أنسب شيء لإتيانها بولد من غير والد ، فكيف إذا كان ذلك في غير وقته ، فكيف إذا كانت يابسة ، مع مالها فيها من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها ، وكون رطبها خُرْسَة (٢) للنفساء وغاية في نفعها وغير ذلك (٣) .

وفي إيثار القرآن استعمال التعبير بأداة النداء قبل ليت في قوله تعالى على لسان مريم ﴿ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ إشعار بضعفها وصعوبة احتمالها ، وإن كانت راضية بما قضى الله وبما أمر ، فهي تنادي " ليت " الدالة على التمني (٤) ، وكأنها تقول إنها تتمنى الموت ، وتنادى أداة تمني الموت قبل هذا ؛ لأن ذلك وقت تمني الموت ، فراراً من عار الاتهام من الظالمين ، وهي البريئة الطاهرة التي اصطفاها رب العالمين (٥) .

وكذلك التعبير باسم الإشارة " هذا " الذي يستعمل في القرب الحسي ، فيه إشارة إلى أمر معنوي بهدف تجسيده ، إذ المقصود بـــ " هذا " هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت (٦) " ، فقد عبرت عن آلامها باسم الإشارة للقريب ، بما فيه من دلالة

---

(١) روح المعاني للآلوسي ٨ /٤٠٠ ، ط. دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، وينظر: الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٦ ، ط. دار الفكر ، والبحر المحيط ٦ / ١٧٢.

(٢) الخُرْسَة : طعام الولادة . ينظر : المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (خ ر س) ط. دار الدعوة

(٣) نظم الدرر ١٢ / ١٨٧.

(٤) التمني : طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله . البلاغة الواضحة ٢٠٣ ، وينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة ٤٢٨ .

(٥) ينظر : زهرة التفاسير للإمام / محمد أبو زهرة ٩ / ٤٦٢٧ ، ط. دار الفكر العربي .

(٦) إرشاد العقل السيم ، لأبي السعود ٤ / ٢٣٦ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، وقيل : الإشارة إلى الحمل . ينظر : الكشاف للزمخشري ٦ / ١٧٣ .

على تعظيم مصابها ، حتى كأنه يُخَيل إليها أن ما تعانيه صار شيئاً محسوساً (١) .

وفى قوله تعالى على لسان مريم : ﴿ وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ دلت كلتا الكلمتين : ﴿ نَسْيًا ﴾ و﴿ مَنْسِيًّا ﴾ على النسيان ، لكن دلالة الثانية عليه كانت أعمق وزيادة في التأكيد على حدوث عملية النسيان ، لدرجة أن الناس قد نسوها وليس تناسوها (٢) ، ومن ثم كانت نعتاً على المبالغة (٣) ، قال الزمخشري : " تمنت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة ، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه ، وذلك لما لحقها من فرط الحياء من الناس على حكم العادة البشرية ، لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها (٤) .

* قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم ٢٤] .

اختلف المفسرون فى المراد بذلك مَن هو؟ فقال بعضهم: إنه الملك جبريل – عليه السلام – ناداها من تحت الأكمة أو من تحت النخلة ، ولم يتكلم عيسى – عليه السلام – حتى أتت به قومها ، وقيل : المنادى هو عيسى – عليه السلام – ، وقد أنطقه الله بعد وضعه تطييباً لقلبها وإيناساً لها ، قائلاً : لا تحزنى فقد جعل ربك تحتك جدولاً أو نهراً صغيراً ، أجراه الله لها لتشرب منه ، وقيل المراد بالسرىّ هنا عيسى – عليه السلام – ، والسرىّ : السيد العظيم الخصال من الرجال (٥).

---

(١) دراسة أسلوبية في سورة مريم ١٤٥ بتصرف يسير .

(٢) ينظر: المستوى البلاغي في سورة مريم ، للدكتور / فيصل حسين طحيمر ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد السابع عشر ، العدد الأول ، يناير ٢٠٠٩ ، ص : ٦٥١ .

(٣) الدر المصون ٤٩٨/٤ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٢٣٧ .

(٤) الكشاف له ٢ / ٥٠٦ .

(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢٤/٥ ، والتفسير المنير ٧٦/١٦ .

وفي التعبير بالاسم الموصول على قراءة (مَنْ تَحْتَها) بفتح ميم " من " ونصب " تحت " [١] ، على أن المعنيَّ بالموصول الغلام الذي تحتها [٢] إرهاص لعيسى وكرامة لأمه ــ عليهما السلام ــ وقَيْدُ " من تحتها " لتحقيق ذلك ، ولإفادة أنه ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة ، وتصويراً لتلك الحالة التي هي حالة تمام اتصال الصبي بأمه [٣] .

وجاء التعبير بالربوبية مع الإضافة إلى ضميرها في لفظ ﴿ رَبُّكِ ﴾ لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية [٤] ، ففيه تسلية كبيرة لها وإشعار بقربها من رب العالمين.

ولتنوع الدلالات وتكاملها دور بارز في إثراء المعنى باستعمال لفظ ﴿ سَرِيًّا ﴾ دون غيره ، فإن هذا اللفظ يعني الجدول من الماء، ويعني أيضاً الشريف الرفيع كما سبق ذكره ، قال الراغب : " وقيل : بل ذلك من السَّرْوِ ، أي الرفعة ، يقال : رجلٌ سَرْوٌ ، قال : وأشار بذلك إلى عيسى عليه السلام ، وما خصه به من سَرْوِه " [٥] ، هذا وإن كان المعنى الأول هو الأنسب للسياق لقرينة قوله بعد : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴾ إلا أن هذا

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة ورويس ، وقراءة الباقين بكسر الميم وجر تحت . النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢ / ٢٣٨ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي ٣٧٧ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت

(٢) وهو أقوى في المعنى. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ٢ / ٨٧ ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٨٧ .

(٤) السابق نفسه .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن له (س ر ي) .

لا يمنع من دلالة اللفظ المذكور على المعنى الأخير ، ومصداقه عيسى عليه السلام [١] ، وعلى أي تقدير فإن الغرض من الآية المتمثل في تسلية مريم وتطييب نفسها ودفع الحزن والهم عنها قد حققه التعبير بهذا اللفظ المتنوع في الدلالة ، ولو قيل : قد جعل ربك تحتك جدولاً أو سيداً عظيماً لما اتسع التعبير لتعدد الدلالات كما رأيت .

* قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم ٢٥] .

قال المفسرون فى معنى الآية : أى حركى جذع النخلة تسقط عليك رطباً طرياً طيباً صالحاً للاجتناء والأكل، وهذه آية أخرى، قال الزمخشري: " كان جذع نخلة يابسة في الصحراء، ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة ، وكان الوقت شتاء " [٢]، وقيل: كانت النخلة مثمرة ، والمهم في الأمر وجوب اتخاذ الأسباب لتحصيل الرزق ، والاعتقاد بأن الفاعل الحقيقي في تيسير الرزق هو الله تعالى، وأنه على كل شيء قدير [٣].

وقد ضمن[٤] الهز معنى الميل ولذا عدى بإلى، وقد اعتبر في تعديته معنى الميل؛ لأنه جزء معناه؛ فهو تحريك بجذب ودفع، أو تحريك يميناً وشمالاً، سواء كان بعنف أو لا [٥].

وفي أمرها بهز النخلة إشارة إلى أن الرزق وإن كان محتوماً ، فإن الله تعالى قد وكل إلى ابن آدم السعى فيه ؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آيـــة ، وكانت الآيـــة تكون

---

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ١٤ / ٤٢ ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ١٣/٣ ط. دار إحياء التراث العربى – بيروت .

(٣) التفسير المنير ٧٦/١٦ .

(٤) التضمين : هو إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون في الأسماء والأفعال والحروف . ينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة : ٣٧٥ .

(٥) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٦ / ٢٦٣ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، وروح المعاني ٨ / ٤٠١ .

بألا تهز (١) .

ومما يزيد المعنى قوة ووضوحاً دخول الباء على لفظ " جذع " لتوكيد لصوق الفعل بمفعوله ، مثل ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٣)) (٤) ، قال الزمخشري : " والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد " (٥) ، وقيل : إن الباء هنا للدلالة على تسهيل وصول الرطب إليها ، ذلك أنها تهز في مكان هو الجذع تتساقط عليها الرطب من علٍ ، وذلك بلا ريب تيسيراً للوصول ، فلا تهز في أعلى ، بل تهز بمكان قريب منها ، وهي النفساء والتي تتعبها الحركة الكثيرة (٦) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا الدلالة على تعدد المعانى وتنوعها تبعاً لتعدد القراءات الواردة في لفظ ﴿ تُسَاقِطْ ﴾ (٧) ، فالتعبير بصيغة التفاعل في قراءة الجماعة وحمزة للدلالة على أن التمر يسقط منها ، ومن حقه أن يكون منتفياً لأنها غير متأهلة لذلك ، فهو ظاهر في أنه على وجه خارق للعادة ، وقراءة الجماعة بالإدغام تشير مع ذلك إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفي كونه منها ليبسها وعدم إقنائها (٨) ، وقراءة حمزة بالفتح

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٢ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ٦ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٩٥ .

(٤) التحرير والتنوير ١٦ / ٨٨ .

(٥) الكشاف له ٢ / ٥٠٧ ، وينظر : حروف المعاني لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : ٤٧٦ ، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٦) زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٢٩ ، وينظر : الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ١ / ٧ .

(٧) قرأ حمزة بفتح التاء والقاف وتخفيف السين ، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين ، وقرأ شعبة بخلف عنه ويعقوب بالياء من تحت مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف ، وقرأ الباقون ومعهم شعبة في ثاني وجهيه بفتح التاء من فوق وتشديد السين وفتح القاف . النشر ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، والإتحاف : ٣٧٧ .

(٨) أي : عدم إثمارها، والقِنْوُ: عنقود النخلة، ينظر: إرشاد العقل السليم ٢ / ٤٢٠ .

والتخفيف تشير إلى سهولة تساقطه وكثرته ، وقراءة حفص بالضم وكسر القاف تدل على الكثرة ، وأنه ظاهر في كونه من فعلها (١) .

وتقديم الجار والمجرور في ﴿ عَلَيْكِ ﴾ للعناية بأمر مريم عليها السلام .

و" الجَنِيّ ": فعيل بمعنى مفعول ، أي مجتنى ، وهو كناية عن حدثان سقوط الرطب ، أي عن طراوته ، ولم يكن من الرطب المخبوء من قبل ؛ لأن الرطب متى كان أقرب عهداً بنخلته كان أطيب طعماً " (٢) .

* قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم ٢٦] .

قال المفسرون فى معنى الآية : أى فكلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك الماء وطيبى نفساً ولا تحزنى وقرى عيناً برؤية الولد النبي فإن الله قدير على صون سمعتك والإرشاد إلى حقيقة أمرك ، وإن رأيت إنساناً يسألك عن أمرك وأمر ولدك فأشيرى له بأنك نذرت لله صوماً عن الكلام ، أي صمتاً بألا أكلم أحداً من الإنس بل أكلم الملائكة وأناجي الخالق (٣) .

ومن لطائف ما أرشـــد إليه النظم الكريم تقديم الماء أولاً (٤) ، وتأخير الشرب هنا (٥) ؛ لأن الماء الجاري أظهر في إزالة الحزن ، وأصل في النفع عام نفعه للتنظيف

---

(١) ينظر : نظم الدرر ١٢ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) التحرير والتنوير ١٦ / ٨٨ .

(٣) التفسير المنير ٧٦/١٦ ، ٧٧ ، وينظر : لباب التأويل فى معانى التنزيل ٢٢٣/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٥ ، ٢٢٦ .

(٤) أي في قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ .

(٥) أي في قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴾ ، وفاء " فكلي " للإفصاح ؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر ،

ونحوه ، وحيث ذكره للشراب أخره لأنه إنما يكون بعده (١) ، ولذا قدم الأكل على الشرب حيث وقع ، ويحتمل أنه قدم الأكل ليجاور ما يشاكله وهو الرطب (٢) .

ومن صور البيان هنا الكناية في قوله تعالى : ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ ، حيث كنّى بقرار العين عن السكون والاطمئنان ، إذ الإنسان في اضطرابه وخوفه تدور عينه ولا تستقر ، فقرار العين يعلن عن قرار النفس ، والأمر بقرار العين وإن لم تكن تحت سلطان الإرادة أمر باطمئنان النفس وإبعاد الهواجس المخيفة ، وألا تتوقع سوءاً ؛ لأن الله معها (٣) ، وهذا مما يدل على أن للكناية دوراً رائداً في إثبات المعاني وتأكيدها.

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ إيجاز (٤) بحذف جملة قبل الشرط ، والتقدير : أنذري صوماً وإن لقيت من البشر أحداً فقولي : إني نذرت صوماً ، فحذف جملة للقرينة (٥) ، والغرض من الحذف الاختصار لدلالة الإخبار بالنذر عليه.

كذلك بين الجواب وشرطه جملة محذوفة ، والتقدير : فإما ترين من البشر أحداً

= أي إذا كانت البراءة متوافرة ، وقد تهيأ الطعام والشراب وكان معك غلام سوي سيكون الأمثل بين الرجال ، فكلي واشربي وقري عينا . زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٣٠ .

(١) إذ العادة قاضية بأن الشرب بعد الأكل .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٦ / ٢٦٥ ، وينظر : روح المعاني ٨ / ٤٠٤ .

(٣) زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٣٠ ، وينظر : روح المعاني ٨/ ٤٠٤.

(٤) الإيجاز : هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع الإبانة والإيضاح ، وينقسم إلى قسمين : الأول : إيجاز حذف : وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف . الثاني : إيجاز قصر ، وهو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف . جواهر البلاغة ١٨٤. وينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة ٢٤٢ – ٢٤٧ .

(٥) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٣ .

فسألك الكلام فقولي [١] : فحذفت أيضاً لدلالة الأمر بالقول عليها ، لكن هذا على جعل القول على الحقيقة ، أي أبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية ، وهو قول الجمهور[٢] .

بينما ذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالقول هنا التفهيم بالإشارة ، أى الإيماء إلى أنها نذرت صوماً ، وربما يسمى التفهيم بالإشارة قولاً ، وعن الفراء أن العرب تسمى كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر ، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام [٣] .

وعليه يكون المعنى : إذا واجهت أحداً فأعلنيه بطريقة غير الكلام أنك نذرت للرحمن صوماً عن حديث الناس وانقطعت إليه للعبادة .

وتقديم الجار والمجرور في قوله : ﴿ لِلرَّحْمَنِ ﴾ للدلالة على تخصيص هذا الصوم لله تعالى ، وأنه خالص لوجهه الكريم ، وليس عن هوى أو رياء ، وفيه إيحاء بتعظيم هذا الصوم ، لكونه خالصاً للرحمن وبأمر منه [٤] .

وفي التعبير عن الله تعالى بوصفه الكريم ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ إشارة إلى أن ذلك الصوم من رحمة الله تعالى بها وتقريبه إليها [٥] .

واستعمال النكرة [٦] في سياق النفي في قوله : ﴿ إِنْسِيًّا ﴾ لإفادة العموم ، أي :

---

(١) الدر المصون ٤ / ٥٠٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٥ . وينظر : إرشاد العقل السليم ٤ / ٢٣٨ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١٤ / ٤٣ .

(٤) دراسة أسلوبية في سورة مريم : ١٥٥ .

(٥) زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٣١ .

(٦) النكرة : اسم يدل على شيء غير معين بسبب شيوعه بين أفراد كثيرة من نوعه تشابهه في حقيقته ويصدق على كل منها اسمه . المعجم المفصل في علوم البلاغة ٦٦٥ .

لن أكلم أحداً [١] ، ويفهم من التعبير بقوله : ﴿ إِنْسِيًّا ﴾ دون أحداً أن المراد : فلن أكلم اليوم إنسياً وإنما أكلم الملك وأناجي ربي [٢] .

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٤ .

(٢) روح المعاني ٨ / ٤٠٥

المبحث الثاني

الآيات [٢٧-٣٣] دراسة تفسيرية بيانية

قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

أولاً : مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن بين الحق سبحانه وتعالى فيما سبق ما كان من حمل مريم عليها السلام وما تبع هذا الحمل من تنحيها عن أهلها وإلجائها إلى جذع النخلة وغير ذلك من الأمور التي كان من جملتها طمأنة قلبها وإرشادها إلى طعامها وشرابها وتوجيهها إلى حجتها وبرهانها ، أتم القصة فذكر إتيانها قومها وهي تحمل ولدها، وما نشأ عن ذلك من إنكارهم عليها وما تبعه من إشارتها إليه ونطقه وهو في مهده، فقال عز وجل ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ...﴾ .

ثانياً : الدراسة التفسيرية البيانية :

* قوله تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم ٢٧]

قال المفسرون: لما اطمأنت مريم عليها السلام بما رأت من الآيات وسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه أتت بعيسى تحمله إلى قومها من المكان القصى ، فلما رأوا الولد معها حزنوا وأعظموا الأمر واستنكروه جداً وقالوا منكرين : يا مريم لقد فعلت أمراً عجيباً عظيماً منكراً خارجاً عن المألوف وهو الولادة بلا أب (١) .

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢٦/٥ ، والتفسير المنير ٨١/١٦ ، ٨٢.

وقد جاء العطف بالفاء للدلالة على أن مريم ــ عليها السلام ــ جاءت أهلها عقب انتهاء الكلام الذي كلمها ابنها أو جبريل عليهما السلام .

وعلى القول بأنها بقيت في بيت لحم إلى انتهاء واحد وأربعين يوماً ، وهي أيام التطهير من دم النفاس ، يكون التعقيب المستفاد من الفاء تعقيباً عرفياً مثل : تزوج فوُلد له (١) .

وفائدة التقييد في قوله تعالى : ﴿ تَحْمِلُهُ ﴾ مع ظهوره : الإشارة إلى أنها أظهرته لزوال خوفها من اللوم لما رأت الأمور العجيبة الدالة على براءتها ، وتمنيها الموت أولاً لعدم إطلاعها على هذه الخوارق (٢) .

وعبّر النظم الكريم بالإتيان في قولــه : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا ﴾ وبالمجيئ في قولــه : ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا ﴾ ؛ لأن " أتى " تستعمل فيما هو أيسر مما تستعمل فيه " جاء " ، إذ المجيء فيه صعوبة عن الإتيان ، فقول قومها حين واجهتهم ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ كان أصعب عليها من إتيانها بمولودها ، فقد كانت خائفة من مواجهتهم لعظم هذا الأمر في نظرهم ولعدم علمهم بحقيقته .

وقيل : إن الإتيان تحيط به ثلة من معاني الغموض والشك والجهل وعدم القصد ، في حين المجيء تحيط به معاني العلم واليقين ، وتحقق الوقوع والقصد (٣) ، ومن ثم أظهر التعبير بالإتيان أن مريم – عليها السلام – تأتي إلى موقف مجهول، لا تدري كيفية تصرف .

قومها فيه ، فإتيانها هذا – ومعها مولودها الذي حملت به من دون زواج – مصحوب بالكثير من القلق والترقب والمصير الغامض المجهول الذي ينتظرها ، وأما قول

---

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٤ .

(٢) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ١٢ / ٢٢١ .

(٣) الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد ١٤٦ ، ط . دار الفكر .

قومها : ﴿ جِئْتِ ﴾ فكان – من وجهة نظر القوم – تعبيراً عن الحقيقة التي لا مراء فهيا ولا جدال ، فقد قالوا هذه الكلمة وهم يشعرون بثقة كلامهم وصحة اتهامهم لها بأنها قد اقترفت الفاحشة حسب وهمهم وزعمهم (١) ، يدل على ذلك اللام ومجيئ قد مع الماضي ، فقد ذكر أهل اللغة أن قد مع الماضي تفيد التحقق (٢) .

وفي هذا ما لا يخفى من الدقة اللفظية في القرآن الكريم ، فكل لفظ في موضعه له معنى لا يؤديه مرادفه ، مما يؤكد عدم وجود الترادف التام في هذا النظم الكريم (٣) .

* قوله تعـــالى : ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم ٢٨] .

قال المفسرون فى معنى الآية : أى يا شبيهة هارون في العبادة ، أو يا من أنت من نسل هارون أخى موسى، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم ، وللمضرى : يا أخا مضر ، وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الوقت ، أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة ، فكيف تأتين بمثل هذا ؟ ما كان أبوك فاجراً وما كانت أمك زانيةً ، فمن أين يأتيك السوء ، ومن أين لك هذا الولد ؟!! (٤) .

وقد جاء التعبير بقولهم : ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ ﴾ تهكماً بها وتوبيخاً على هذه الفعلة حسب ادعائهم ، والمراد بهارون كما سبق رجل صالح في قومها ، أو أنه هارون أخو موسى – عليهما السلام – باعتبار أنها من نسله ، وقيل : يحتمل أن يكون على حقيقته ، فيكون لمريم أخ اسمه هارون كان صالحاً في قومه ، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ ، والمعنى : ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك ، أفاده ابن عاشور في التحرير

---

(١) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ٨٤ .

(٢) ينظر: الجنى الداني ٢٥٦ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٢٢٩ ، ط. دار الفكر.

(٣) راجع هذه القضية بالتفصيل في : الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والنافين لأستاذنا الدكتور / سامي هلال .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٢٧/٥ ، والتفسير المنير ٨١/١٦ .

والتنوير (١) .

وفي قولهم : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ تعريض (٢) بمريم – عليها السلام – فمع أن ظاهر العبارة المدح لأبويها ، إلا أنها جاءت في سياق الذم لها ، لبيان أن ما جاءت به منكر عظيم لا يليق بمثلها أبداً ، ويخالف ما عليه والداها ، قال صاحب التحرير والتنوير: " وعنوا بهذا الكلام الكناية عن كونها أتت بأمر ليس من شأن أهلها ، أي : أتت بسوء ليس من شأن أبيها وبغاء ليس من شأن أمها .. وهم أرادوا ذمها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها مقتض أن شأنها أن تكون مثل أبويها " (٣) .

وفي التعبير بلفظ " بغياً " دون " زانية " دليل آخر على الدقة اللفظية في هذا النظم الكريم ، فكلمة " زانية " لا تفي بالمقصود ، لدلالتها على صفة من تفعل الزنا وترتكب الفاحشة فحسب ، أما كلمة " بغياً " فقد تضمنت دلالات أخرى كالظلم وتجاوز الحد ، وفي التعبير عن الزنا بالبغي إصدار للحكم عليه وإشارة إلى أنه بغي وتجاوز للحد لا ينبغي الاقتراب منه ، قال الراغب : " وبغت المرأةُ بغاءً إذا فَجَرَت وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها " (٤) .

كذلك دلالة لفظ البغي على الفساد، ومنه: بغي الجرحُ، تجاوز الحدَّ في فساده(٥) ، وبغي الإنسان على آخر ، وإذا كان ذا بغي فلابد أن يقع منه فساد (٦) ، وفي الزنا ما

---

(١) ١٦ / ٩٥ .

(٢) التعريض : الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ، وسمي تعريضاً لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ ، أي من جانبه ، ويسمى التلويح ؛ لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده . البرهان للزركشى ٢ / ٣١١ ، وينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٦ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٨ ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم ١٨٥ .

(٤) المفردات له (ب غ ي) .

(٥) السابق نفسه .

(٦) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ٦٥ ، ٦٦ .

لا يخفى من الفساد المستفاد من لفظ البغي ، وهذا ما لا تجده في لفظ آخر من التعبير عن تلك المعاني المذمومة والمنهي عنها كالظلم وتجاوز الحد والفساد ، مما يؤكد على بلاغة القرآن الكريم ودقته في مطابقة الألفاظ للمعاني .

* قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم ٢٨] .

قال المفسرون فى معنى الآية : أى أشارت مريم إلى عيسى أن يكلمهم ، وقد اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق لأنها نذرت للرحمن صوماً عن الكلام ، فغضب القوم وقالوا لها متهكمين بها ظانين أنها تسخر منهم : كيف نكلم طفلاً لا يزال في المهد أى فى فراش الرضيع ؟ (١) .

وقد جاء العطف بالفاء بين هذه الآية والآية السابقة للدلالة على سرعة حدوث هذه الإشارة من مريم – عليها السلام – حين أنكر عليها قومها ما رأوا منها وقالوا لها ما قالوا .

والاستفهام في ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ ﴾ استفهام إنكاري (٢) ، أنكروا أن يكلموا ما ليس من شأنه أن يتكلم ، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته ، أي : كيف نترقب منه الجواب ، أو كيف نلقي عليه السؤال ؛ لأن الحالتين تقتضيان التكلم (٣) .

وإنما عدل قوم مريم إلى عبارة ﴿ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ولم يقولوا كيف نكلمه وهو حديث الولادة ؛ لأنهم أخرجوا القضية مخرج العموم ، أي أن كل من كان حديث الولادة "في المهد" يمنع العقل والعادة كلام العقلاء معهم؛ لأنهم لا يدركون شيئاً،

---

(١) ينظر : لباب التأويل ٤/٢٤٤ ، والتفسير المنير ١٦/٨١ .

(٢) استفهام الإنكار يدل اسمه على معنى النفي في الكلام ، وقيل : إن هذا الاستفهام كثيراً ما يصحبه التكذيب ، وهو ما كان في الزمن الماضي بمعنى " لم يكن " أو كان في المستقبل بمعنى " لا يكون " ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة : ١٢٥ .

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٧ .

ويدخل فيهم وليد مريم دخولاً أولياً، والتعبير برمته كناية عن استحالة التكلم (١) .

* قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم ٣٠ – ٣٣] .

قال المفسرون : قال عيسى : إني عبد تام العبودية لله لا أعبد غيره ، آتانى الإنجيل وقدّر لي وحكم في الأزل أن أكون نبياً ذا كتاب ، وفي هذا تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة ، لأن اللّه تعالى لا يجعل الأنبياء أولاد زنى ، وإنما هم نخبة عالية من الطهر وصفاء السلالة والمعدن .

وجعلنى مباركاً أين ما كنت ، أى صيّرنى الله نفاعاً للعباد معلماً للخير هادياً إلى الرشاد في أي مكان وجدت ، والمبارك : الذى تقارن البركة أحواله ، ومن بركته أن الله أرسله رحمة لبنى إسرائيل ليحل لهم بعض الذى حرم عليهم ، وأن جعل الله حلوله فى المكان سبباً للخير فيه .

وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، أى أمرني ربي بالصلاة التي تربط العبد بربه وتطهر النفس وتمنع عن اقتراف الفاحشة ، وأمرني أيضاً بزكاة المال التي هي طهرة للمال وعون للفقير والمسكين ما دمت على قيد الحياة في الدنيا .

وبراً بوالدتى ، أي وجعلني باراً بوالدتي مريم ، وأمرني ببرها وطاعتها والإحسان إليها ، وهذا أيضاً دليل على نفي الزنى عنها ، إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها ، ولم يجعلنى جباراً شقياً ، أى ولم يجعلني متعظماً عاصياً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك .

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، للدكتور / عبد العظيم المطعنى ٢ / ٢٧٢ ، ط . مكتبة وهبة – القاهرة .

والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ، أى والسلامة علي من كل سوء يوم الميلاد فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت ، ولا أغواني عند الموت ، ولا عند البعث ، فأنا في أمان لا يقدر أحد على ضرى في هذه الأوقات الثلاثة ، وهذا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله يولد ويموت ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد (١) .

وتقديم ذكر العبودية لله تعالى في قول سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ لنفي ما سينسب إليه في المستقبل من الألوهية ، ولإبطال قول من ادّعى فيه ذلك ، فكأنه عليه السلام يرد على الذين أخرجوه من مرتبة العبد الخالص الزكي الطاهر إلى مرتبة الألوهية ، وهو لن يستنكف أن يكون عبداً لله (٢) .

وفي قوله : ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ عبر عن المضارع " يأتيني ، يجعلني " بلفظ الماضي " آتاني ، جعلني " لإفادة تحقق الوقوع ، وذلك على رأى من وسع دائرة الالتفات (٣) ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٤) ، والمراد : فيفزع ؛ لأن الحدث لم يقع بعد ، ولكنه عبر عنه بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه ، فهو لا محالة واقع ، ومادام الأمر كذلك فلا فرق بين الماضي والمضارع (٥) .

كما أن في التعبير بالماضي المحقق الوقوع في مكان المضارع رداً حاسماً عليهم

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٩٨/١٦ – ١٠١ ، والتفسير المنير ٨٢/١٦ – ٨٤ .

(٢) ينظر: زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٣٤ ، وصفوة التفاسير ٢ / ٢١٥ .

(٣) الالتفات : هو التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة : التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وهذا هو المشهور عند البلاغيين ، وقد وسع آخرون دائرة الالتفات ، فأدخلوا فيه التعبير عن الماضي بلفظ المضارع والعكس ، وكل ما أشبه ذلك . ينظر : خصائص التراكيب للدكتور / محمد أبو موسى ٢٦٢ ، ط. مكتبة وهبة .

(٤) سورة النمل ، من الآية : ٨٧ .

(٥) خصائص التراكيب : ٢٦٦ .

ودفاعاً شديداً عن أمه وإبراءً لها مما رموها به .

و" ال " في ﴿ الْكِتَابَ ﴾ تحتمل أن تكون للاستغراق (١) ، وأن تكون للعهد ، فإن كانت للاستغراق فالمراد الإنجيل ، وإن كانت للعهد فالمراد التوراة : إذ لا معهود حينئذ إلا هي (٢) ، ويكون الإيتاء إيتاء علم ما في التوراة ، كقوله تعالى : ﴿ يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (٣) (٤) ، وقيل : المراد مجموعهما ، فإن الإنجيل لم ينسخ التوراة ، ولكنه نسخ بعض أحكامها (٥) .

وفي قوله : ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ تعميم للأمكنة ، أي لا تقتصر بركته على كونه في مكان معين ، بل هو حيثما حل تحل معه البركة .

وكنّى بقوله : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ عن إصلاح النفس والمجتمع ، فبالصلاة صلاح النفس وتطهيرها لتألف وتؤلف ، وبالزكاة يكون التعاون الاجتماعي بين الغني والفقير، مما يؤدي إلى تطهير المجتمع من آثام الفقر (٦) .

إضافة إلى أن الصلاة من أفضل الأعمال التي تربط المخلوق بالخالق ، فتتحقق عنده المراقبة لخالقه في كل حركاته وسكناته ، فتنصلح بذلك نفسه ، وكذلك الزكاة .

كما أن في هذا القول إشارة إلى تشريع الصلاة والزكاة في شريعته عليه السلام (٧) .

---

(١) الاستغراق : الشمول لجميع الأفراد بحيث لا يخرج عنه شيء . التعريفات لعلي الجرجاني ١ / ٣٦ ، ط. دار الكتاب العربي . بيروت . وينظر : قطر الندى وبل الصدى لابن هشام : ١١٣ ، ط. المكتبة العصرية . بيروت .

(٢) اللباب لابن عادل الحنبلي ١٣ /٥٨ .

(٣) سورة مريم ، آية : ١٢ ، والكتاب في الآية : التوراة بلا خلاف .

(٤) التحرير والتنوير ١٦ / ٩٨ .

(٥) روح المعاني ٨ / ٤٠٨ ، وزهرة التفاسير ٩ / ٤٦٣٤ .

(٦) زهرة التفاسير ٩/٤٦٣٤، ٤٦٣٥ بتصرف .

(٧) الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٤٦ ، ٤٧ .

وقدّم الصلاة على الزكاة لشرفها وعلو منزلتها ، ولأن صلاح النفس أساس لصلاح المجتمع ، وهو تقديم معنوي يكون فيه ترتيب الألفاظ تابعاً لترتيب المعاني .

وفي قوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا ، إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها وبرها ، ففيه رمز لنفي الريبة عنها (١) .

كذلك قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ يشير إلى أن التجبر المذموم فعل أولاد الزنا ، وذلك أنه يستشعر ما عنده من النقص ، فيريد أن يجبره بتجبره (٢) .

ووصف الجبار بالشقي باعتبار مآله في الآخرة ، وربما في الدنيا من حيث كونه مبغض إلى الناس يتمنون له النازلات ، فهو يخاف من كل ما يحيط به ، فهو في شقاء دائم ، وإن حسبه الناس سعيداً .

وجاءت آية ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ معطوفة على ما قبلها ، فهي من جملة مقول القول الذي قاله نبي الله عيسى □ ، فبعد أن أعلمهم أنه عبد الله آتاه الإنجيل وجعله نبياً ومباركاً ، معلماً للخير ، نفاعاً للناس ، وأمره بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياته ، كما أمره أن يكون باراً بوالدته ولم يجعله متجبراً في الناس ولا شقياً بمعصيته ، ذكر الأمان من الله عليه يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً .

وقد أكدت الآية الكريمة على بشرية سيدنا عيسى □ ، فإن من يمر بهذه المراحل : الولادة ثم الموت ، ثم البعث والنشور ، لا يمكن أن يكون إلهاً ، وإنما هو بشر مثل غيره من البشر ، وأن الإله وحده هو الذي يتنزه عن الحدوث والتغير والتبدل ، وهو وحده الحي الذي لا يموت (٣) .

كما أشارت إلى أن عيسى عليه السلام لن يقتله ولن يصلبه أحد ، بل هو ولد آمناً

---

(١) اللباب لابن عادل الحنبلي ١٣ / ٦٠ ، وتفسير المراغي ١٦ / ٤٨ .

(٢) نظم الدرر ١٢ / ١٩٤ .

(٣) ينظر : دراسة أسلوبية في سورة مريم : ٢٠٣ .

وعاش آمناً ، ومات آمناً ؛ لأن السلام هو الأمن .

وجيء بـــ ﴿ السَّلَامُ ﴾ هنا معرفاً باللام الدالة على الجنس مبالغة في تعلق السلام به حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه ، وقيل : التعريف للعهد ، والمعهود هو السلام المتقدم ذكره في حق يحيى عليه السلام ، أي : ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليّ (١) .

كذلك فيها تعريض باللعنة على متهمي مريم – عليها السلام – وأعدائها من اليهود ، فكأن عيسى عليه السلام حين يقول : السلام عليّ يعرض بأن ضده – أي اللعنة – عليهم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٢) ، يعني أن العذاب على من كذب وتولى ، وكان المقام مقام مناكرة وعناد ، فهو مئنة لنحو هذا التعريض (٣) .

وكذلك دلالة تعريف ﴿ وَالسَّلَامُ ﴾ هنا وتنكيره في قصة يحيى عليه السلام (٤) فقد جاء هناك منكراً ؛ لأنه وارد من جهة الله تعالى ، فلا يحتاج ما هو وارد من الله إلى تعريف لتعظيمه ، وهو مغن عن كل تحية ، ومن ثم لم يرد السلام من جهته تعالى إلا منكراً ، وأما تعريفه هنا في حق عيسى عليه السلام فلأنه جاء من قبل عيسى نفسه وبلسانه على سبيل الدعاء ، وقيل : في التعريف إشعار بذكر الله تعالى ؛ لأن السلام اسم من أسمائه ، وفيه تعرض لطلب السلامة (٥) .

وفي قوله : ﴿ حَيًّا ﴾ بعد قوله : ﴿ أُبْعَثُ ﴾ تاكيد للبعث وتقرير له ، وهذا من أبلغ الردود على من يدعون ألوهية عيسى عليه السلام حيث أكدت الآية أنه سيموت ويبعث شأنه في ذلك شأن كل البشر .

---

(١) الدر المصون ٤ / ٥٠٥ ، وحاشية ابن التمجيد ١٢ / ٢٢٥ .

(٢) سورة طه ، من الآية : ٤٧ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٨ ، وينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ١٨٥ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [آية : ١٥] .

(٥) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ٢١١ ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم ١٥٠ ، والتعبير القرآني والدلالة النفسية : ٢٩١.

المبحث الثالث

الآيات [٣٤–٣٦] دراسة تفسيرية بيانية .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

أولاً : مناسبة الآيات لما قبلها :

لما كان فيما سبق من أقوال عيسى وأحواله أعظم البيان عن بعده عما ادعى فيه النصارى من الألوهية واليهود من أنه لغير رشده ، نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك مشيراً إليه بأداة البعد ، فقال : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ... ﴾ (١) .

ثانياً : الدراسة التفسيرية البيانية :

* قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم ٣٤] .

قال المفسرن فى معنى الآية : يقول تعالى لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ذلك المتصف بالأوصاف السابقة الذي قصصناه عليك هو عيسى ابن مريم ، وهذا الكلام المذكور هو قول الحق والصدق الذي لا مرية فيه ولا شك ، وهو حقيقة عيسى ، لا ما يقوله اليهود : إنه ساحر، ولا ما يقوله النصارى : إنه ابن الله أو هو الله ، وهؤلاء الضالون والمغضوب عليهم يشكون ويتنازعون ويختلفون في أمره عليه السلام (٢).

وقد جاءت هذه الآية الكريمة والتي تليها اعتراضاً(٣) بين الجمل المقولة في قوله :

---

(١) ينظر: نظم الدرر ١٢ / ١٩٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٢٣٠ ، والتفسير المنير ١٦/٩٥ ، ٩٦.

(٣) معناه : اعتراض كلام في كلام لم يتم ، ثم يرجع إليه فيتمه . الصناعتين لأبي هلال العسكري ٣٩٤ .

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ، مع قوله : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ ، وهو اعتراض لطيف يفيد تأكيد أن ذلك المذكور الذي مضى وصفه هو عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن هذا هو الحق الذي لا مراء فيه ، وأنه لا يصح أن يتخذ الله ولداً ، إذ شأنه سبحانه أنه إذا قضى أمراً من الأمور حصل بدون إمهال أو تأجيل .

ودل اسم الإشارة ﴿ ذَلِكَ ﴾ المستخدم للبعيد على بعده ــ عليه السلام ــ عما ألصق به من الأكاذيب ، فهو إشارة إلى بعد أقواله وأحواله عن صفة الإله (١) .

وقد وصف عيسى – عليه السلام – بأنه قول الحق في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ ؛ لأنه – عليه السلام – لم يولد إلا بقول من الحق سبحانه ، وبكلمة منه ، حيث قال له : " كن " فكان من غير واسطة أب (٢) ، .

والإضافة في ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ للبيان ، والمراد : لا ينبغي الارتياب فيه لسطوع برهانه ووضوح بيانه ، فلا يضره وجود المرتابين ؛ لأنهم كالمعدومين (٣) ، وقيل : هي من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أي القول الحق (٤) .

وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ للقصر (٥) والاختصاص، لتأكيد أنهم لم يعد لهم شاغل فينشغلون به ويشككون فيه إلا عيسى – عليه السلام – ، ولذلك أوثر التعبير بالامتراء دون الشك؛ لأن الامتراء أقوى وأدل على قوة التشكيك .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ١٢ / ١٩٥ ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم ١٤٥ .

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٩ .

(٣) حاشية القونوي ١٢ / ٢٢٧ .

(٤) البحر المحيط ٦ / ١٧٨ ، والدر المصون ٤ / ٥٠٦ .

(٥) القصر : هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ، وله طرق كثيرة ، أشهرها في الاستعمال أربعة ، وهي : النفي والاستثناء ، إنما ، العطف بلا أو بل أو لكن ، تقديم ما حقه التأخير، ينظر : جواهر البلاغة : ١٨٨ ، والمعجم المفصل في علوم البلاغة ٦٢١ .

وقيل : قدم الجار والمجرور لرعاية الفاصلة .

ومما ينبغي التنبيه عليه ويحسن ذكره هنا أن فواصل هذه السورة الكريمة تتسق مع معانيها اتساقاً تاماً ، فبعد تلك الآيات التي وردت في قصة سيدنا عيسى – عليه السلام – والتي انتهت كلماتها الأخيرة بالياء المضعفة المتبوعة بصوت الفتحة الطويلة حدث هذا التغير فجأة في فواصل الآيات بداءة من هذه الآية : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ وانتهاء بآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ فقد انتهت كلماتها الأخيرة بصوتي النون والميم المسبوقين بصوت الضمة الطويلة أو الكسرة الطويلة ، ولم يحدث هذا التغيير تشويشاً على اتساق هذه الفواصل بالمعاني المرادة من الآيات ، بل زاده سطوعاً ؛ لأنه اختلاف ناشيء عن تغير الموضوع ، إذ تحول السياق إلى التعقيب والحكم على عيسى عليه السلام ، ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً مغايراً لأسلوب الاستعراض ، وتقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً بعد إيقاع القصة الرّضيّ المسترسل ، وكأنما لهذا السبب كان التغيير (١) ، وبمجرد الانتهاء من الحكم المذكور وإعلان البيان الإلهي بشأن سيدنا عيسى – عليه السلام – عادت السورة الكريمة سيرتها الأولى من حيث انسجام الإيقاع وتشابه الفواصل .

* قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم ٣٥] .

قال المفسرون : أي ما صح ولا استقام ولا ينبغي ولا يليق بالله أن يتخذ ولداً إذ لا حاجة له به ، وهو حي أبداً لا يموت ، تنزه اللّه وتقدس عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون وعن كل نقص من اتخاذ الولد وغيره ، إنه إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصير كما يشاء ، فمن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد ؟ (٢) .

والتعبير بصيغة ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ ﴾ يفيد انتفاء الولد عنه تعالى بأبلغ وجه ؛

---

(١) ينظر : دراسة أسلوبية في سورة مريم ٥٢ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٣٠/٥ ، والتفسير المنير ٩٦/١٦ .

لأن لام الجحود (١) تفيد المبالغة في النفي ، ولأن في قوله : ﴿ أَنْ يَتَّخِذَ ﴾ إشارة إلى أنه لو كان له ولد لكان هو خَلَقَه واتخذه ، فلم يَعْدُ أن يكون من جملة مخلوقاته ، فبطل إثبات البنوة له سبحانه (٢) .

و﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَلَدٍ ﴾ لتأكيد النفي ، قال الزجاج : " من في قوله : ﴿ مِنْ وَلَدٍ ﴾ مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة ؛ لأن للقائل أن يقول : ما اتخذت فرساً ، يريد: اتخذت أكثر من ذلك ، وله أن يقول : ما اتخذت فرسين ولا أكثر ، يريد : اتخذت فرساً واحداً ، فإذا قال : ما اتخذت من فرس ، فقد دل على نفي الواحد والجميع (٣) .

وقوله جل وعلا ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ اعتراض لتنزيه المولى عز وجل عما نسب إليه من اتخاذ الولد ، وللتأكيد على عبودية عيسى ــ عليه السلام ــ لله تعالى كما ذكر في الآيات السابقة .

وفى التعبير بقضى في قوله : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾ دلالة على حدوث أمر الله بحيث لا يمكن لأحد دفعه أو رده ، فلا يتخلف مراد عن إرادته ، إذا أراد شيئاً وحكم به فإنما يقول له كن فيكون .

* قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم ٣٦].

قال المفسرون : ومما أمر به عيسى قومه وهو فى مهده أن أخبرهم أن الله ربه وربهم ، ثم أمرهم بعبادة الله فقال : فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، أي فاعبدوا الله وحده لا شريك له ، وهذا الذي جئتكم به عن الله هو الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا يضل سالكه ، من اتبعه رشد وهدي ، ومن خالفه ضل وغوى (٤) .

---

(١) لام الجحود : هي الواقعة بعد كان الناقصة المنفية . الجنى الداني ١/ ١٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١٦ / ١٠٣ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦٩ ، ط. دار الحديث. القاهرة .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٥/٢٣٠ ، ٢٣١ ، والتفسير المنير ١٦/٩٥ .

وقد جاءت هذه الآية الكريمة معطوفة على قوله : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ فهي من قول سيدنا عيسى – عليه السلام – ومن الدليل عليه وقوع الآية بعينها في المحكيّ من دعوته قومه في قصته من سورتي آل عمران والزخرف (١) .

وعلى قراءة فتح همزة " إن " (٢) على تقدير لام التعليل ففيه تقديم العلة على المعلول ، حيث قدم ذكر الربوبية للاهتمام بها ، لكونها مقررة للمعلول ومثبتة له ، فهي سبب التوجه إلى الله تعالى بالعبادة، ونتيجة الإقرار لله بها هي إفراده وحده بالعبادة (٣) .

ومن دقة التعبير القرآني هنا أنه عبر بالربوبية في قوله : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ ، وذلك للتأكيد على ربوبية الحق سبحانه وتعالى ؛ لأن عيسى ـــ عليه السلام ـــ نعت بالألوهية من قبل المشركين من أهل الكتاب حين زعموا أنه ابن الله ، ولذا نراه يؤكد هنا على أن الله ربه كما أن الله رب قومه .

ومما زاد التعبير القرآني دقـــةً وجمالاً أن عيسى عليه السلام قدم ﴿ رَبِّي ﴾ على ﴿ وَرَبُّكُمْ ﴾ ليؤكد على ربوبية الله تعالى له ، فالله سبحانه ربه كما هو ربهم ، ولأن هذه الربوبية هي محل إنكار من قبل المشركين بالنسبة لعيسى – عليه السلام – الذي يزعم المشركون أنه إله (٤) ، ولذلك أكدها بإن واسمية الجملة أيضاً .

والفاء في قوله : ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، والعبادة مترتبة على الإفراد بالربوبية ، ويلاحظ هنا أن الأمر بالعبادة جاء بعد التأكيد على صفة الربوبية

---

(١) وقيل : إن الآية استئناف وابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى ، أو أمر منه للنبي ﷺ أن يقول إن الله ربي وربكم " .. إلخ ، ولا وجه له ، فهي من كلام عيسى عليه السلام ، ختم كلامه بالاعتراف بالمربوبية ، كما بدأه بالشهادة على العبودية لإتمام الحجة . ينظر: الميزان ١٦ / ٤٨ .

(٢) وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ورويس ، وقراءة الباقين بالكسر . النشر ٢ / ٢٣٩ ، والإتحاف ٣٧٨ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٦ / ١٠٤ ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم ١٥٧ ، وفي توجيه القراءتين. ينظر: الكشف ٢ / ٨٩ .

(٤) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ١١٢ و ١٥٩ .

للدلالة على أن الغرض الأساس هو توحيد الله سبحانه ، وإثبات الربوبية له .

ودل اسم الإشارة ﴿ هَذَا ﴾ في الآية الكريمة على قرب المشار إليه وهو الصراط ، وشدة وضوحه، فهذا هو الصراط القريب البيّن أمامهم، وما عليهم إلا أن يسلكوه (١).

وقد جاءت هذه الآية الكريمة حكاية عن سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ ثلاث مرات في ثلاث سور بثلاث صيغ : في سورة آل عمران (٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ، وفي هذه السورة ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ، وفي سورة الزخرف (٣) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ، فزاد ضمير الفصل في آية الزخرف دون الآيتين الأخريين ، وذلك أن آية الزخرف قيلت في سياق عبادة عيسى واتخاذه إلهاً بخلاف غيرها ، فناسب ذلك تأكيد ربوبية الله له .

جاء في ملاك التأويل (٤) : " وأما زيادة الضمير الفصلي في سورة الزخرف فيحرز مفهومه معنى ضرورياً دعا إليه ما تقدم في الآية قبله ، وذلك ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٥) إلى ما يتلو هذه ... فلما كان تقدم ذكر آلهتهم وقولهم : ﴿ أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ (٦) يعنون المسيح ، ناسبه ما أعقب به من قوله حاكياً عن المسيح عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ فأحرز " هو " هذا المعنى ، ولم يرد في آية آل عمران وآية مريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا ، فلم يحتج إلى الضمير المحرز لما ذكرنا " .

---

(١) السابق ١٤٥ ، وقيل : الإشارة إلى مضمون ما تقدم .

(٢) آية : ٥١ .

(٣) آية : ٦٤ .

(٤) ٣٠٨/١ ، وينظر أيضاً : التعبير القرآني للدكتور / فاضل صالح السامرائي ١٤٧ ، ١٤٨ ، ط. دار عمار . الأردن .

(٥) سورة الزخرف ، آية : ٥٧ .

(٦) سورة الزخرف من الآية : ٥٨ .

المبحث الرابع

الآيات [٣٧ – ٤٠] دراسة تفسيرية بيانية .

قال تعالى ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أولاً : مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد ما سبق من تقرير حقيقة عيسى – عليه السلام – وتنزيه الله سبحانه عن أن يتخذ ولداً ؛ لأن ما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين ، وإعلان عيسى ربوبية الله له وللناس ، ودعوته قومه إلى عبادة الله الواحد بلا شريك ، عرض الحق سبحانه وتعالى اختلاف الفرق والأحزاب في أمر عيسى – عليه السلام – في ظل هذه الحقيقة الناصعة فقال : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... ﴾ .

ثانياً : الدراسة التفسيرية البيانية :

* قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم ٣٧] .

قال المفسرون فى معنى الآية : اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاليهود عليهم لعنة الله قالوا : إنه ولد زنى وإنه ساحر وكلامه هذا سحر ، واختلفت فرق النصارى فيه ، فقالت فرقة منهم: هو ابن الله ، وقال آخرون : هو الله تعالى ، وقال آخرون : هو ثالث ثلاثة ، وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله ، وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً ، ولكن الله تعالى أنظرهم إلى يوم القيامة

وأجّلهم حلماً وثقةً بقدرته عليهم (١).

والفاء في قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ﴾ عاطفة على ما قبلها في قوله تعالى : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ وهو عطف عملهم واعتقادهم على الاعتقاد المستقيم الذي لا ريب فيه (٢).

و" من " في قوله ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ حرف توكيد (٣) يفيد أن اختلاف الأحزاب صادر عنهم هم ومن بينهم (٤) .

وقد ذهب كثير من اللغويين إلى القول بأن " من " هنا زائدة (٥) ، فنقول لهؤلاء : اتقوا الله في قرآنكم ، فما من حرف في كتاب الله إلا وله معنى يستفاد منه ، وقد أفادت " من " هنا معنى بليغاً لا يستفاد من غير ذكرها ، فقد أكدت أن اختلاف الأحزاب صادر عنهم هم ومن بينهم ، ولا يمكن أن يقوم قولك " فاختلف الأحزاب بينهم " مقام قول الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ ويؤدي معناه بهذه الصورة البليغة .

والويل : كلمة تهديد تفيد تشديد العذاب (٦) ، وتنكيرها للتعظيم ، أي أنه : ويل عظيم لا يستطيعون دفعه .

وفى استعمال الإظهار في موطن الإضمار فى قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ دلالة على شمول كل ما ينطبق عليه وصف الكفر في كل زمان ، وهذا لا شك أبلغ في الإنذار والتقريع ، ولو قيل : " فويل لهم " لما تحقق هذا المعنى .

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣١/٥ ، ٢٣٢ ، والتفسير المنير ٩٧/١٦.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير٩/٤٦٤٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ١٠٦ .

(٤) ينظر : زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٤١ .

(٥) المراد : زيادتها من جهة الإعراب لا من جهة المعنى .

(٦) الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٤٩ .

* قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [مريم ٣٨] .

قال المفسرون : يخبر الله تعالى عن الكفار أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره يوم يأتونه للحساب والجزاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ... ﴾ (١) أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئا.

لكن هؤلاء الظالمون الكافرون يعرفون الحق في الآخرة ، وفي الدنيا صم بكم عمي عن الحق ، لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك ، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا تقصيرهم (٢).

وفي قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ، ومعناه " أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء جدير بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً ، وعبر البعض عنه بالتعجيب (٣) لأن صدور التعجب من الله محال ، إذ هو كيفية نفسانية تنشأ عن استعظام ما لا يدري سببه ، أقول : وهذه طريقة المتكلمين في تأويل ما يشترك في الإضافة إليه تعالى وإلى خلقه من الصفات المروية ، وطريقة السلف المحققين إثبات ما ورد به السمع مع نفي التشبيه ، إذ لا اتحاد بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، فما يضاف إليه تعالى هو على النحو الذي يجب أن يكون عليه جل جلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

* وجاءت كلمة ﴿ يَوْمَ ﴾ الأولى في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ نكرة للدلالة

---

(١) السجدة : ١٢ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٣٢/٥ ، والتفسير المنير ٩٨/١٦ .

(٣) ينظر: روح المعاني ٨ / ٤١١ وغيره .

(٤) سورة الشورى ، من الآية : ١١ ، وينظر: محاسن التأويل ١٠ / ٤١٤٣ .

على أن يوم قيام الساعة مجهول لا يعلمه إلا الله ، وأما الثانية في قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ ﴾ فقد جاءت معرفة بأل التي تفيد العهد الحضوري للدلالة على اليوم الحاضر الذي هم فيه في الدنيا ، مما يؤكد على أن ورود الكلمة نكرة في موضع ومعرفة في موضع آخر له دلالته ومعانيه البلاغية (١) .

وفي التعبير بضمير العظمة في سياق الوعيد في قوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ إشارة إلى مضاعفة التهديد للكافرين وزيادة وطأة العذاب عليهم .

وأفاد الاستدراك الذي في قوله : ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ دفع توهم أنهم إذا سمعوا وأبصروا يوم القيامة وانكشف لهم الحق سيهتدون ، فيسعدون بحصول المعرفة واليقين ، فاستدرك أنهم لا ينتفعون بذلك ولا يهتدون ، بل الظالمون اليوم في ضلال مبين لظلمهم (٢) .

وفي وضع الظاهر موضع الضمير في قوله: ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ ﴾ إشعار بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم ويجدي عليهم ويسعدهم ، وبيان أن السبب في هذا الضلال هو ظلمهم لأنفسهم بعد الإدراك الصحيح (٣) ، ولو قيل : " لكنهم اليوم " لما تحقق هذا المعنى .

والتعبير بـــ " في " في قوله تعالى : ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ يشير إلى انغماسهم في الضلال وأنه لا يمكنهم الفكاك منه .

وفي وصف الضلال بالمبين زيادة توبيخ لهم ، حيث يظهر ضلالهم مرئياً للعيان .

* قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم ٣٩] .

---

(١) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ١٥٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٤٩ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٩ ، وأنوار التنزيل ٤ / ١١ ، وزهرة التفاسير ٩ / ٤٦٤٢ .

قال المفسرون فى معنى الآية : أى وأنذر أيها الرسول الخلائق من المشركين وغيرهم يوم يتحسرون جميعاً ، فالمسيء يتحسر على إساءته ، والمحسن على عدم استكثاره من الخير، حين فرغ من الحساب وطويت الصحف وفصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار الأولون في الجنة والآخرون في النار، وهم الآن في الدنيا غافلون عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة ، غافلون عما يعمل بهم في ذلك اليوم وعما يلاقونه من أهوال ، وهم لا يصدقون بالقيامة والحساب والجزاء (١).

وقد دلت إضافة " يوم " إلى " الحسرة " على كثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما فرطوا فيه من أسباب النجاة ، أو على شدة التحسر في هذا اليوم عند جميع الناس ، فالمسيء يتحسر على إساءته ، والمحسن على عدم استكثاره من الخير (٢) .

وآثر النظم الكريم هنا التعبير بلفظ " الحسرة " دون غيره كـــ " الندامة " مثلاً ؛ لأن الحسرة أبلغ في الدلالة على حالهم يومئذ ، ويتبين ذلك إذا علمنا أن الحسرة هي الندامة الشديدة الداعية إلى التلهف ، فهي لا تدل على مجرد الندامة ، بل هي أشد الندامة ، يقال : حَسِر فلانٌ يَحْسَرُ حَسَرًا وحَسْرَةً وحَسَرَاناً ، فهو حَسِيرٌ وحَسْران إذا اشتدت ندامته على أمر فاته ، أما الندم فهو أسف الفاعل على فعل صدر منه لم يتفطن لما فيه عليه من مضرة ، قال تعالى : ﴿ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٣) ، ومن ثم كان التعبير بالحسرة هنا أبلغ في الدلالة على المعنى .

* وفي التعبير بقوله : ﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ إشارة إلى أن الحسرة إنما تأتيهم من ناحية قضاء الأمر ، والقضاء إنما يوجب الحسرة إذا كان بحيث يفوت به عن المقضي عليه ما فيه قرة عينه وأمنية نفسه (٤) ، ومعنى : ﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي : فرغ من الحساب

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٣/٥ ، والتفسير المنير ٩٨/١٦ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٠٨ ، ١٠٩ ، وفتح القدير ٣ / ٤٧٧ .

(٣) سورة الحجرات ، من الآية : ٦ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٤٩ ، ٥٠ .

، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار (١) ، فلا أمل بعد ذلك لتدارك الأمر بالنسبة للكافرين .

وتكرار الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أضاف للكلام معنى لا يحصل بدونه ، وهو التأكيد على انغماس الكافرين في الغفلة وبعدهم عن الإيمان ، وذلك لهز مشاعرهم وزلزلة نفوسهم وإنذارهم حين يعلمون أنهم " هم " – ولا أحد سواهم – سيحملون تبعات كفرهم وأوزار إلحادهم (٢).

وجاء التعبير بالجملة الحالية ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ دون " وهم غافلون " لإفادة أنهم قد استغرقتهم الغفلة واستولت عليهم وحاطتهم كأنها ظرف لهم قد استقروا فيها (٣) .

واختيار صيغة المضارع دون صيغة اسم الفاعل فى قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ للدلالة على نفي الإيمان عنهم في جميع الأزمنة على سبيل التأكيد والمبالغة كما يستفاد من دلالة المضارع على تجدد حدوث الفعل ، مما يؤكد استحقاقهم العذاب .

* قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم ٤٠] .

قال المفسرون : أى وأعلمهم أيها الرسول بأن الله يرث الأرض ومن عليها ، فلا يبقى بها أحد من أهلها يرث الأموات ما خلّفوه من الديار والمتاع ، ثم إلى الله يردون يوم القيامة فيجازي كلاً بعمله ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (٤).

وجاء التعبير بصيغة التعظيم في قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ للدلالة على عظمة الله تعالى وكبريائه وإظهار قدرته الباهرة وبقائه الدائم ، فهو الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها ، وهو وحده الباقي بعد الأرض ومن فيها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١١٦ .

(٢) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم ١٠٤ .

(٣) زهرة التفاسير ٩ / ٤٦٤٢ ، ٤٦٤٣ .

(٤) التفسير المنير ٩٩/١٦ ، وينظر : لباب التأويل ٢٤٧/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٤/٥ .

وقد أكدت جملة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ ﴾ بأكثر من مؤكد " إن، واسمية الجملة، وضمير الفصل نحن " لدفع الشك ؛ لأن المشركين ينكرون الجزاء ، فهم ينكرون أن الله يرث الأرض ومن عليها بهذا المعنى (١) .

فإن قيل : ما الفائدة في " نحن " وقد كفت عنها " إنا " ؟ فالجواب أنه لما جاز في قول المعظم " إنا نفعل " أن يوهم أن أتباعه فعلوا ، أبانت " نحن " بأن الفعل مضاف إليه حقيقة (٢) .

وقوله : ﴿ نَرِثُ الْأَرْضَ ﴾ كناية عن التملك المطلق لله تعالى ، فهو يرث كل شيء ويتملكه ، إذ كل ما في الكون له سبحانه .

وتقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أفاد معنى القصر ، أي لا يرجعون إلى غيرنا ، فبين أن المرجع إليه سبحانه وحده ، وفيه مزيد تخويف لهم ، وتهديد بأنهم راجعون إليه سبحانه وسيحاسبهم على كل أفعالهم .

وبالجملة فقد جاءت هذه الآية الكريمة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ تذييلاً (٣) لختم القصة على عادة القرآن الكريم في تذييل الأغراض عند الانتقال منها إلى غيرها ، وقد أفاد هذا التذييل التعريف بتهديد المشركين بأنهم لا مفر لهم من الكون في قبضة الرب الواحد الذي أشركوا بعبادته بعض ما على الأرض ، وأن آلهتهم ليست بمرجوة لنفعهم إذ ما هي إلا مما يرثه الله (٤) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ١١٠ .

(٢) ينظر: زاد المسير ٥ / ١٧٤ ، ودراسة أسلوبية في سورة مريم : ١٤٠ .

(٣) التذييل : هو أن يذيل المتكلم كلامه المتقدم التام بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتؤكده . ينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغية : ٣٠٠ .

(٤) السابق ١٦ / ١١٠ ، ١١١ بتصرف .

الخاتمة

ونسأل الله حسنها

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فقد وفقنى الله تعالى إلى إتمام هذا البحث الذي قمت فيه بدراسة الوجوه التفسيرية والبيانية فى هذه الآيات المباركات ، ولا أدعي أنني قد استوعبتها كلها ، أو أنني أصبت في كل ما أوردته منها ، فالكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله ، ولكنى اجتهدت قدر استطاعتي ، وأفدت من مطالعة كتب السابقين في هذا الشأن ، راجياً من الله تعالى التوفيق والقبول .

وهذه أهم النتائج التي خلصت إليها من هذا البحث :

أولاً : القطع بأن القرآن الكريم مكمن الفصاحة والبلاغة ، فهو في أعلى درجات البلاغة التي لم يعهد مثلها ، وأنه معجز من جميع جوانبه ، وإعجازه يقتضي أن لكل لفظ موضعه ومعناه الذي لا يؤديه غيره .

ثانياً : دقة اختيار الألفاظ القرآنية ، وتنوع دلالاتها ، وتأثيرها في نفوس المتلقين .

ثالثاً : لا وجود للترادف التام في القرآن الكريم ، ولا يجوز إطلاق هذا المصطلح فيه لمنافاته الإعجاز .

رابعاً : أن المعانى تختلف وتتعدد تبعاً لاختلاف القراءات وتعددها .

خامساً : أن تعدد المعانى اللغوية لألفاظ القرآن الكريم يؤثر فى اختلاف التفسير .

سادساً : أن الآيات القرآنية محل البحث والدراسة قد قصدت إلى إثبات الوحدانية والبعث ونفي الولد والشريك ، وبيان طلاقة القدرة الإلهية ، مع الإشارة إلى

قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام وما أولاهما الله به من النعيم ، وقد اعتمدَت في تحقيق ذلك على الكثير من الألوان البلاغية والأسلوبية والدقة اللفظية التي تعين على فهم المعنى وتمكينه في النفوس .

سابعاً : بلاغة التذييل في الآيات القرآنية وتناسبه مع سياقها وتأكيده لمضمونها .

وبالجملة فإن هذه الآيات – كغيرها من آيات السورة الكريمة – تمثل صورة حقيقية للرد على المشركين وإثبات قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وتحمل في أثنائها الإعجاز القرآني الخالد ، وتبقى صورة مهمة للعديد من الألوان البلاغية والأسلوبية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادروالمراجع

١ – إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد ، الشهير بالبنا الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .

٢ – الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، ط. الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية .

٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م .

٤ – الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ، للدكتور / صباح دراز ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط. الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

٥ – أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ط. المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

٦ – إعجاز القرآن ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تعليق / أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط. الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

٧ – إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م.

٨ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي ناصر الدين البيضاوي ، إعداد وتقديم / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط. الأولى .

٩ – الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ط. دار الجيل ، بيروت .

١٠ –البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١١ –البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ط. إحياء الكتب العربية .

١٢ –بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط. الثالثة ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١٣ –البلاغة الواضحة ، لعلي الجارم ومصطفى أمين ، مكتبة الآداب ، ط. الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

١٤ –التحرير والتنوير ، للإمام أحمد الطاهر بن عاشور ، ط. دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

١٥ –الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والنافين ، للدكتور / سامي عبد الفتاح هلال ، كلية القرآن الكريم – جامعة الأزهر.

١٦ –الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، للدكتور / محمد نور الدين المنجد ، ط. دار الفكر ، دمشق .

١٧ –التصوير الفني في القرآن ، للشيخ / سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط. الثامنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

١٨ –التعبير القرآني ، للدكتور / فاضل صالح السامرائي ، ط. دار عمار ، الأردن .

١٩ –التعبير القرآني والدلالة النفسية للدكتور/ عبد الله محمد الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ط. الثانية ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٧ م .

٢٠ –التعريفات لعلى بن محمد الجرجاني ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢١ –التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، للدكتور / عبد العظيم المطعني ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة .

٢٢ –تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء بن كثير ، تحقيق / سامى بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع . ط الثانية ١٤٢٠ه – ١٩٩٩ م .

٢٣ –تفسير المراغي ، للشيخ / أحمد مصطفى المراغي . ط. دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٤ –التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ، لوهبة الزحيلى ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط الثانية ١٤١٨هـ .

٢٥ –جامع البيان فى تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة . ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .

٢٦ –الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الحديث ـ القاهرة ، ط الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

٢٧ –جمال القراء وكمال الإقراء ، لأبي الحسن على بن محمد السخاوى ، ودراسة وتحقيق / عبد الحق عبد الدايم سيف القاضى ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت . ط الأولى . ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م .

٢٨ –جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي . ط مكتبة الإيمان ـ المنصورة .

٢٩ –حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ، المسماة : عناية القاضى وكفاية الراضى ، لشهاب الدين الخفاجي . دار الكتب العلمية ـ بيروت . ط الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م .

٣٠ –حاشية القونوي على تفسير البيضاوى ، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ، ومعها حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الحنفي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٣١ –حروف المعاني ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق د/ على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط. الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

٣٢ –خصائص التراكيب للدكتور / محمد أبو موسى ، ط مكتبة وهبة .

٣٣ –الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق الشيخ / على محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

٣٤ –دراسات فى إعجاز القرآن الكريم ، للدكتور / سامى عبد الفتاح هلال ، كلية القرآن الكريم – جامعة الأزهر .

٣٥ –دراسة أسلوبية فى سورة مريم ، إعداد / معين رفيق أحمد صالح ، جامعة النجاح الوطنية ــ نابلس ، فلسطين .

٣٦ –دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ، تعليق / محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدنى ــ القاهرة .ط الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م .

٣٧ –دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، للدكتور / محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة . ط الثانية ١٤٠٨ هـ – ١٩٩٧م .

٣٨ –روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين الألوسي ، ضبط وتصحيح / على عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط. الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٩ –زهرة التفاسير ، للإمام محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي .

٤٠ –شروح التلخيص ، ط . المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق .

٤١ –الصحاح للجوهري إسماعيل بن حماد ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ــ بيروت . ط الثالثة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م .

٤٢ –الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة العلوى اليمني ، دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥م

٤٣ –الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .

٤٤ –فى ظلال القرآن للشيخ / سيد قطب ، دار الشروق ــ القاهرة ، ط الرابعة والثلاثون ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

٤٥ –قطر الندى وبل الصدى ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري ــ المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .

٤٦ –القول الوجيز فى فواصل الكتاب العزيز لرضوان بن محمد المعروف بالمخللاتي ، تحقيق الشيخ / عبد الرزاق موسى ، مطابع الرشيد ــ المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

٤٧ –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٨ –الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د / محيى الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ ط الخامسة . ١٤١٨ هـ – ٢٠٠٢م .

٤٩ –لباب التأويل فى معانى التنزيل ، لعلاء الدين على بن محمد الشهير بالخازن ، دار الفكر ، بيروت – لبنان . ط ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م .

٥٠ –لسان العرب ، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار المعارف .

٥١ –معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ، تحقيق د / عبد الجليل شلبي ، دار الحديث – القاهرة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م .

٥٢ –معجم مفردات ألفاظ القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار الكتب العلمية – بيروت . ط الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٥٣ –المعجم المفصل فى علوم البلاغة ، إعداد / الدكتورة : إنعام فوّال عكاوى ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

٥٤ –المعجم الوسيط ، لمجمع اللغة العربية – طبعة دار الدعوة .

٥٥ –مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري . ط دار الفكر ـ دمشق .

٥٦ –مفتاح البلاغة ، للدكتور/ محمد محمد خليفة ، وعبد الحكيم حسن نعناع ، شركة الإسلام مصر للطباعة ـ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .

٥٧ –الميزان فى تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

٥٨ –النشر فى القراءات للإمام محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط الثالثة ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

٥٩ –نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، ط. الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م .

فهرس الموضوعات

الملخـــص ٣٠٣
تمهيد ٣٠٨
بين يدى سورة مريم..... ٣٠٨
أولاً : اسم السورة : ٣٠٨
ثانياً : عدد آيها : ٣٠٨
ثالثاً : مكية السورة أو مدنيتها : ٣٠٨
رابعاً : أهداف السورة ومقاصدها : ٣٠٩
خامساً : مناسبة السورة لما قبلها : ٣١٠
المبحث الأول الآيات [٢٢ – ٢٦] دراسة تفسيرية بيانية ٣١١
المبحث الثاني : الآيات [٢٧ – ٣٣] دراسة تفسيرية بيانية..... ٣٢٣
المبحث الثالث : الآيات [٣٤ – ٣٦] دراسة تفسيرية بيانية ٣٣٣
المبحث الرابع : الآيات [٣٧ – ٤٠] دراسة تفسيرية بيانية ٣٣٩
الخاتمة ٣٤٦
المصادر والمراجع ٣٤٨
فهرس الموضوعات..... ٣٥٤